

الإمبريالية ولعبة اليمين واليسار

« ولكي نغري الطامعين الى القوة
بأن يسيئوا استعمال حقوقهم ،
وضعنا القوى : كل واحدة منها ضد
غيرها ، بأن شجعنا ميولهم التحررية
نحو الاستقلال ، وقد شجعنا كل مشروع
في هذا الاتجاه ووضعنا أسلحة في
أيدي كل الاحزاب ، وجعلنا السلطة
هدف كل طموح إلى الرفع . وقد اقنا
ميادين تشتجر فوقها الحروب
الحزبية بلا ضوابط ولا التزامات .
وسرعان ما استنطق القوضى ، وسيظهر
الافلاس في كل مكان .. »

بروتوكولات حكماء صهيون
من البروتوكول الثالث ...

إن بدعة تقسيم قوى العالم الثالث إلى يمين ويسار ، وما بينها من درجات ، يعبر عنها باليمين المتطرف ، اليمين المعتدل ، اليمين المتحرر ، اليسار المعتدل ، اليسار المتطرف ، أقصى اليسار ، اليسار العلمي (الماركسي - اللينيني) .. الخ .. هذه البدعة التي صنعها حكماء بني صهيون ، وعمل المغفلون وذوو المصالح الخاصة على ترويحها وتطبيقها ، أخذت تسري مسرى النار في الهشيم ، في كل خبر أو تعليق سيامي ، وفي كل تحليل أو بحث (عقائدي) ! وخلال الثورات والفعاليات الإعلامية ، وعبر الحوار والمناقشات بين شتى فئات العالم الثالث المنكود ! .

يمين ويسار .. وبينهما درجات أحالت كل حزب أو كتلة سياسية إلى مجموعة مضحكة من الفرق المتناحرة المتطاحنة ، لا شيء إلا لأن بعضها يميني ، والآخر يساري ، أو أن بعضها يساري متطرف ، والآخر يساري معتدل . حتى لقد نسي هؤلاء في غمرة تطاحنهم تحت هذه الشعارات الفارغة ، الأسباب الحقيقية لهذا التطاحن ، والفرق الأصلية لهذا الصراع - إن كانت هنالك فروق !! - . وسلوا إن شئت أية مزقة من هذه المزق المعلقة على أجنحة اليمين واليسار ، وما بينها من درجات ، سلوها عن المعالم الرئيسية والقيم العقائدية التي تميزها عن الأخريات .. سلوها عن دوافع الصراع العميقة وأسباب التطاحن بعيدة الجذور ..

وسوف لن تجدوا أيما جواب مقنع يوضح لكم لماذا غدا هؤلاء في
اليمن وأولئك في اليسار ؟ .

إن الحقيقة التي لا مرأى فيها هي أن جميع هذه المزق
لا عقائد لديها .. إنها جميعاً لا تنبثق عن وجهات نظر أصيلة
مستقلة ومتميزة ، فضلاً عن فلسفة لها إمكانية التصدي لحل كل
الألغاز والمشاكل التي تجابه الإنسان في الكون والحياة .. إنها
جميعاً لا تمتلك إمكانية العطاء الفكري الأصيل .. ودعوا أياً
منها تتكلم أو تكتب .. إنها ستتوقف بعد النطق بكلمات
معدودات ، وسوف تحجب أقلامها بعد كتابة سطور فحسب ..
ومن ثم يبدأ اللغو والدوران في الحلقة المفرغة التي لا تخرج منها ..
وتنشال الاصطلاحات المجتررة ، متراففة جامدة ميتة لا حياة
فيها ، كشواهد القبور .. لا تحرك القلب والوجدان ، ولا تثير
في الفكر طاقته الحركية التي أودعها الله فيه ، والتي تستطيع
بالعقيدة الحية ، أن تفتح بصيرة الإنسان على الملكوت ، وتتصدى
لحل ألغاز الوجود والعالم ، وتضع للبشرية - استناداً إلى هدي
الله ووحيه - معالم الطريق .

إننا لو طالعنا كل ما خطته أقلام هذه المزق من اليمن إلى
اليسار ، وكل ما قالته أجهزة إعلامها ونشراؤها ومحاوراتها ،
فسوف لن نجد إلا هذا التكرار الملل ، وهذا الموت ، وهذه
الانكالية السلبية على المصطلحات ، وهذا الاستخدام المضحك
للعبارات التي فقدت معناها ، لأنها لم تتحول في يوم من الأيام إلى

حياة حية متحركة تفرض معناها على العقل والوجدان ! . وإلا
فأي معنى توحيه كلمة (التقدمية) ، ونحن نرجع كل يوم خطوات إلى
الوراء في نظر العالم الذي يستشرف من بعيد ، وهو يتنفس
الصعداء ، لتخلينا عن كل القيم والأهداف التي صنعت وجودنا
وصاغت مصيرنا ، وتقدمت بنا - عبر قرون طويلة - خطوات
عملقة إلى الأمام : عقيدة ودولة وحضارة وأرضاً وشخصية
متميزة مستقلة ؟ ! وما معنى (الثورية) ونحن لا نستطيع أن
نصلت سيوفنا إلا على رقاب إخواننا وأبنائنا .. ولا نعمل قتلاً
وذبحاً وفصلاً للرؤوس عن الأجساد ، إلا في أبناء قومنا وعشيرتنا ؟
فإذا ما جدد الجد ، ودعت الضرورة إلى أن تتحرك الأيدي
لترفع السيوف بوجه عدو دخیل أو يهودي مغتصب ، فسرعان
ما ترتجف الأيدي ، وتنشل السواعد ، وينعكس معنى (الثورية)
فيغدو هزيمة منكرة لا صلة لها بالمعنى الأصيل للثورة ، اللهم إلا
في هياجها وجوحها وجريها المجنون ؟ ! .

ثم ما معنى (الحرية) ويهود تضع أقدامها على القلب الحفاق
لوطن العروبة وتشد قبضتها على مساحات ستراتيجية واسعة
لثلاث دول عربية ، فضلاً عن فلسطين ؟ . ما معنى (الحرية)
والكبت والإرهاب في الداخل قد أحوال (الإنسان العربي) إلى
قطع شطرنج لا تتحرك إلا بالأصابع التي توجهها من فوق وتلعب
بمصائرهم بعيداً عن إرادتها .. وإذا ما أرادت أن تتحرك وجدت
في وجدانها فراغاً قاسياً ، خلفه الكبت ، وفي عقيدتها نضوباً

محزناً أوجده الإرهاب .. ولم تستطع بعد هذا أن تندفع ، بقوة
وتصميم ، لتصنع حريتها الحقيقية ، لأنها مسلووبة الحرية من
أعماق الأعماق ١٩ .

وكثيرات هي المصطلحات التي ترصفها كتل اليمين واليسار
في العالم الثالث ، وكثيرات أيضاً عمليات السطو والسرقات من
بطون مراجع العلوم السياسية ، والمؤلفات الغربية ، ومذكرات
قادة اليمين واليسار التي تنهمر ترجماتها على الأسواق .. هذا الخواء
المحزن ، وهذا الدوران في الحلقة المفرغة ، وهذه المعطيات الميتة
ليست سوى نتائج حتمية لفقدان كل كتل اليمين واليسار العقيدة
الأصلية التي تبعث اليقين في كينونة الإنسان ، وتحرك فكره ،
وتفتح وجدانه على قضايا أمته ومصيره .. العقيدة التي تنفخ روح
الحياة في كل حرف وكل كلمة ، وتحيل الرموز والمصطلحات
إلى تشخيصات حية ، وتخلصنا من هذا الإرهاق الفكري والسأم
النفسي اللذين أصابتنا لعنتهما خلال العقود الأخيرة حيث ظللنا
نبحث - دون جدوى - عن معاني الرموز والمصطلحات .

ولنا أن نتساءل : مادامت (العقيدة) غائبة عن مبررات
الصراع بين كتل اليمين واليسار ، فلماذا حدث هذا التقسيم إذن؟
وعلام هذا التمزق والنطاحن والصراع ؟ . ليس هناك - والحالة
هذه - غير المصالح المحدودة ، والأهداف القريبة ، والرغبة في
الوصول والاستئثار .. وليس هناك غير الشوق العميق لتسلم
المناصب وأجهزة الحكم - وما وراءها من متع وترف وملذات

وثرأ - مها كان الثمن . ومن ثم تجري - خفية وظهوراً -
تتقلت دأمة بين أجنة اليمين واليسار إذا ما أحسَّ بعض أفراد
هؤلاء أن الجناح الفلاني أو المزة الفلانية قد غدت قاب قوسين
أو أدنى من الوصول إلى أهدافها . وهنا يتلفت الاستعمار ،
وتلفت الصهيونية ، فلا يجدان - وهما اللذان صنعا اللعبة -
فرصة أروع ، ولا مناسبة أيسر من هذه لتحقيق مصالحهما الواسعة
وأهدافهما القريبة ، وجني ثمار كفاحهما الحبيث الموصول من أجل
السيطرة على مقدرات العالم الثالث ، بمجرد التقرب من هذه
الكتلة أو تلك ، ومصافحة هذا الجناح أو ذاك ، عن طريق
الإغراء والقرع . وما أكثر الذين يفساقون - كقطع الفلين
التي يسوقها التيار - إلى مصير مفتوح .. وعالم فيه المناصب
والأموال والنساء .

وخلال هذا كله - أو قبله - تقوم صحف الاستعمار الجديد
والصهيونية ، وأجهزتهما الدعائية ، بحملة تهينة واسعة النطاق
تستهدف تعميق هذه الانشاقات وتأكيد فكرة اليمين واليسار
في أذهان المغفلين والطموحين على السواء ! من أبناء العالم الثالث
المنكود ..

إن الاستعمار الجديد والصهيونية يمتلكان الآن (قيثاراً)
رائعاً فيه من الأوتار ما يتيح لهما عزف مقطوعة موسيقية رائعة
لأبناء العالم الثالث ، فينام من ينام ، ويحلم من يحلم في أجواء
(رومانتيكية) حالمة يبعثها اللعب البارع على أوتار اليمين

واليسار .. قطعة موسيقية تناسب - بلا وعي أو إرادة - إلى أعماق أعماق الإنسان المتعب في طول بلاد العالم الثالث وعرضها.. وفي أحلام هؤلاء وإغفائهم يكون الاستعمار الجديد قد أوجد أجهزة حكم جديدة و(ثورية) تلعن (الامبريالية) وتتنكر للإحسان !.. وفي أحلام هؤلاء وغفوتهم تكون الصهيونية قد ثبتت أقدامها في الأراضي الجديدة التي انساحت إليها بعد حرب حزيران .. وتكون القدس ويكون المسجد الأقصى قد غدوا هيكلاً لإقامة صلوات يهود ! ..

يمين ويسار .. بين أبناء الأمة التي أراد لها الله أن تكون (الأمة الوسط) التي تتميز بشخصية مستقلة الملامح ، واضحة السمات ، وتصبغ بصبغة الله .. يمين ويسار ، بين أبناء العقيدة التي أعطت الإنسان الفرد يقينه الفكري وأمنه الذاتي، وقدمت الحلول المنطقية لقضايا وجوده ومصيره ، والتي أعطت الأمة حريتها الحقيقية وعدلها ووحدتها وتكافلها وسعادتها وتقدمها ..

إن البدع والكلمات الجوفاء ، والشعارات الفارغة ، تجد رصيدها دائماً لدى المخدوعين الذين أغشاهم وهج الزيف ونخر في وجدانهم السوس .. إن قطعاناً كبيرة من أبناء أمتنا ضائعة ، حائرة ، تائهة .. لأنها تعاني في نفوسها خواءً محزنًا ، وفي عقولها فراغاً مخيفاً .. ثم يجيء ذوو المطامح القريبة والمصالح التسافهة المحدودة لكي يعطوا هذه الجماهير امتلاءً زائفاً من يمين أو يسار .. وسرعان ما تركض هذه القطعان البشرية خلف المنادين من كل

مكان لكي تصطدم أخيراً بالحصاد المرير ..

والقوى الإسلامية هي القوى الوحيدة التي لا يمكن أن تدخل هذه اللعبة التي يحرك الاستعمار والصهيونية دماها بخيوط خفية معقدة محكمة، لأن الإسلاميين يؤمنون ابتداءً أن من العبث والخطأ الصريح تقسيم قوى العالم إلى يمين ويسار، إذ لا منطق لهذا التقسيم، وهو في مداه المعقول إغفال لدور العامل الروحي في حركة التاريخ وتركيزه لفاعلية الإنسان في العالم المادي فحسب، الأمر الذي لا يقره الإسلام الذي يقوم تقسيمه للعالم على حقيقة وجود المعسكرين اللذين لا يمكن أن يلتقيا يوماً: معسكر الإيمان ومعسكر الكفر، والفئتين البشريتين اللتين لا يمكن أن تتصافحا يوماً: حزب الله وحزب الشيطان، والمجتمعين اللذين لا يمكن أن يتدخلا يوماً: المجتمع الإسلامي والمجتمع الجاهلي .. وليس بعد الإيمان إلا الكفر، ولا بعد الحق إلا الضلال، ولا بعد الإسلام إلا الجاهلية .. ولا يبقى بعد هذا التقسيم الواضح، المنطقي المستقيم، يمين ولا يسار، لأنه لا يمكن أن يجمع أي قطاع منهما في وقت واحد بين الإيمان والكفر والحق والضلال والإسلام والجاهلية!

إنه لا مفهوم اليسار ولا اليمين يعنيان - لدى الإسلاميين - شيئاً إذا كان اليسار كاليمن يحتوي على الكثير الكثير من عناصر وقيم الشر المنكر التي لا تنسجم مع الطبيعة الإنسانية، ومع المفهوم الكوني للتطور. فالمقياس أبداً هو خير الإنسان، وتحقيق

عبوديته لله ، وتحرير وجدانه من إذلال الطواغيت البشرية والمادية، والتقدم الواعي به إلى حياة سعيدة منسجمة مع نوااميس الكون ، مشرقة بالقيم الحقة ، حافلة بالعدل الاجتماعي بأعمق مفاهيمه وأكثرها شمولاً .

إن الثورة في أي جزء من أجزاء الوطن الإسلامي لا بد أن تسلك أحد طريقين : الإسلام ، وحينئذ يفقد اصطلاحا (اليمين) و (اليسار) معناهما أزاء قاعدة عقائدية ، وتصور عميق شامل يستهدف (خير) الإنسان فرداً وجماعة . أو أن تسلك أي طريق وضمي علماني آخر ، فحينئذ يستوي اليمين واليسار ، وحينئذ لا بد وأن تتعرض الثورة للذوبان في غمار التجربة الغربية ، يمينية كانت أم يسارية ، فتفقد بذلك شخصيتها واستقلالها وأصالتها ، ومن ثم يبرز اصطلاحا (اليسار) و (اليمين) كهدفين مجرد ذاتهما ، دون التفات إلى ما يحوي كل منهما من عناصر وقيم سلبية جاءت نتيجة عدم استشراف عقائدي لمشاكل الإنسان والعالم ، بل - كما حدث في الغرب - نتيجة لمجموعة من العواطف وردود الفعل والانفعالات . ومن الرؤى التاريخية المأسورة بقيود البيئة والمكان والزمان : ﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون ﴾ ! .